الصلح الالماني

في الماضي والحاضر

(١)

ان ما بذلهُ قواد المانيا من الجهد في مؤتمر برست لتوفيك لاكراه روسيا على صلح عسكري اغتصابي وقتي رغم مشيئة العقلاء من ساسة الالمان يدلُّ على ان هؤلاء القواد لم يتعلموا شيئاً جديداً ولا نسوا شيئاً قديماً في نصف القرن الذي مضى وشهرت فيهِ المانيا ثلاث حروب سداها التحرُّش ولحمتها الفتح

فما فعلهُ قواد المانيا في مؤتمر برست لتوفيك فعلوهُ قبل ذلك عند عقد معاهدة براغ سنة ١٨٦٦ اي بعد حرب بروسيا والنمسا وعند عقد معاهدة فرنكفورت سنة ١٨٧١ اي بعد حرب بروسيا وفرنسا فلم يكن للحكومة الالمانية يد في هذه المعاهدات . وفي كلٍّ منها اشتدَّ النزاع بين القلم والسيف — بين السياسة بزعامة وزرائها مثل بسمرك وبين العسكرية بزعامة الملك وقواده : تلك تأمر بالاعتدال وهذه بالفتح والاغتصاب فحذت الاولى وانتصرت الثانية

معاهدة براغ

اما ما جرى قبل معاهدة براغ فهذه خلاصتهُ :

لما رأى الجنرال بندك قائد جيش النمسا الشمالي انهُ امام عدو يفوقهُ عدداً وعُدداً بعد سلسلة انكسارات ثبطت عزائمهُ وعزائم جيشهِ ورأى ان لا قبل لهُ بتلافي الحال خاف عاقبة التمادي في القتال فارسل الى امبراطور النمسا تلغرافاً في ١ يوليو سنة ١٨٦٦ يقول « التمس عقد الصلح مهما يكن ثمنهُ . انكسارنا محتوم » فردَّ الامبراطور عليهِ بقولهِ ان لا سبيل الى عقد الصلح وانهُ ان لم يكن من التقهقر بدٌّ فليكن بحسن نظام . وفي اليوم التالي ارسل الامبراطور تلغرافاً الى امبراطور فرنسا يسأله التوسط بينهُ وبين ملك ايطاليا على امل ان يعقد الصلح بينهما وتخرج ايطاليا من القتال وحينئذٍ تتساوى الكفتان بين بروسيا والنمسا . وتعهد امبراطور النمسا مقابل ذلك بالتنازل لايطاليا عن ولاية البندقية

وفي ٣ يوليو كسر الجيش النمسوي شرَّ كسرة في سادوى فرأى نابوليون الثالث ان لا بدَّ من التوسط حالاً والاَّ سقطت النمسا الى مصاف دولة من الدرجة

الثالثة وفي ذلك ما فيه من الخطر على فرنسا وعلى التوازن الدولي في اوربا. وعليه بعث في ٥ يوليو تلغرافاً الى ملك بروسيا وملك ايطاليا يعرب عن رغبته في التوسط بينهما وبين عدوهما. فالى ملك بروسيا قبول توسط نابوليون ثم عاد فقبله بعد الحاح بسمرك عليه. والذي دفعه الى هذا القبول خوفه من اتحاد نابوليون الامبراطور النمسا وارسال احدهما يده بطريق الزواج على انه لا ملك بروسيا ولا بسمرك وزيره اعترفوا لنابوليون هذا التعدي. فقد نقل عن بسمرك قوله لكتبة اسراره «سيندم نابوليون بعد سنوات قليلة على الوقوف موقف المعادي لنا». وفي ١٩ فبراير سنة ١٨٧٨ خطب في مجلس النواب فقال

«اعلم تمام العلم ما كنت افكر فيه حينئذٍ ولم أنس ان عدونا الامبراطور نابوليون. ولا نسيت تصديه لنا. وربما كان خيراً لفرنسا لو لم تضع نفسها في موضع المصلح»

فعقدت الهدنة وبدأت مفاوضات الصلح. وكان بسمرك قد جمع حوله عصابة من كتبة اسراره ومساعديه كلٌّ منهم متفوق في اسلوبه ودائرة اختصاصه. وكانت الصعوبة الكبرى ابقاء مطالب الملك ومعاونيه العسكريين ضمن حدود الاعتدال لان شهوة الاعتداء كانت قد بلغت غايتها والمطامع السياسية شحذت على سنّ الانتصارات المتتالية. وعلم النواديين الى تجسيم هذه الانتصارات فحسبوا انها تبرر التجائهم الى الشدة والصرامة. ولم يتمموا بان يروا المحاجاة على ركبتيها امامهم بل ارادوا ان يوانوا ضرباتهم حتى يروها معفّرة ملقاة على الحضيض

قال بسمرك في كتاب الى زوجته «الامور سائرة معنا على ما يرام. وان لم نفز في شروطنا ولم نعتقد اننا قهرنا العالم فنا صلحاً لا يندم. ولكننا سراع الى الكر طرباً سرعتنا الى الافراط في الكآبة والنم. ومهمتي انا مهمة لا تحمد وهي صب الماء على الخمر ذات الزبد وبسط هذه الحقيقة وهي اننا لسنا الامة الوحيدة في اوربا بل ان لنا ثلاث جارات يجب ان نحسب حسابهن»

وكان حب الفتح قد أعمى الملك بوجه خاص. فكدر بسمرك لذلك اشدّ التكدير حتى كتب مرة عن شره الملك الى الفتح يقول «بعد معاهدة غاستين التي عقدت بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٥ وتقررت بها حكومة ولايتي شليزويج وهولشتين وقتئذٍ احتلال لوينبرج التي كانت اول بلاد اضيفت الى المملكة

الروسية في عهد وقراً على عقله انقلاب عظيم كما ارى وأشرب في قلبه حب الفتح »

وبان ان الملك كان يرمي تحريض حزب الحرب الى اكساب روسيا جهد ما يستطيع فلما حذّره بسمرك من خطر الغلو في طلباته أعرض بوجهه عنه محنقاً

وكان بسمرك قد امر سفيره في باريس الكونت فون درغولتز بان يسبرغور نابليون ويلمح عوده في مسئلة الاراضي التي اضافتها روسيا الى املاكها . وفي اثناء ذلك كتب غولتز الى الكونت برنستورف (والد سفير المانيا السابق في وشنطن) زميله في لندن يقول ان شروط الصلح التي اسرّها بسمرك اليه اولا نقضت في تلغرافات تالية المرة اثر المرة وكانت شهوة الفتح تزداد فيها على التوالي. وفي ١٢ يونيو ارسل بسمرك الى غولتز تلغرافاً وصفهُ هذا بشدة الاعتدال .وكان بسمرك قد طلب فيه من النمسا الموافقة على اصلاح الاتحاد الجرماني ودفع نفقات الحرب والتنازل عن طلب ولايتي شلزويج وهولشتين وتعديل الحدود تعديلاً طفيفاً بين روسيا والنمسا . ثم عاد قواد الملك يلحون عليه ان يطلب من النمسا جزءاً من بوهيميا وسيليزيا النمسوية وهزأوا بقول بسمرك معترضاً ان سيليزيا جزء من مملكة آل هبسبرج خصيص بالاسرة المالكة . وفي نوفمبر من سنة ١٨٧٠ قال بسمرك لتيرس ان الملك كان يشتهي ان يبيد النمسا بعد معركة سادوى ولكنهُ هو حذّره من ذلك بقوله « ان هذا تسرّع غير محمود فاننا لا نستطيع الآن ان نملأ الفراغ بين الاستانة وبراغ »

وعوقبت الممالك والامارات الالمانية التي قادتها الجرأة الى محاربة روسيا فتقرر ضمّ هنوفر وهس وبرنزويك ومدينة فرنكفورت الحرة اليها وطلب من بفاريا وسكسونيا التنازل لها عن اراضٍ واسعة . وكان ملك روسيا قد طلب في بادىء الامر ضمّ سكسونيا كلها ثم عاد فقنع بولايتي ليبسك وبوتسن منها. وطلب من بفاريا جميع البلاد الواقعة شمالي نهر المين ثم عاد فرضي بامارات انسباخ وبايروت وكولمباخ مواطن سلالة هوهنزلرن . وقال انهُ يفضل التنازل عن سرير الملك على العودة الى روسيا من غير ان يضمّ اليها املاكاً جديدة . وتحدّث حينئذٍ بتأييد سيادة روسيا في المانيا كلها . وضرب مولتكي على هذا الوتر ايضاً وكان ينوي محاربة فرنسا لو رأى من نابليون تمادياً في تعرضهِ لروسيا

وحدث في ٢٤ يوليو حادث حمل بسمرك على تعجيل المفاوضات بلا امهال .

ذلك ان سفيره في بطرسبرج بعث اليه بتقرير تحذير يقول فيه ان قيصر روسيا مهتم بعقد مؤتمر دولي عام بحجة ان المسائل التي ينظر فيها مؤتمر نكلسبرج تنطوي على قلب الاتفاق الاوربي الذي عقد سنة ١٨١٥ فلا يحسن والحالة هذه تقرير امر ما من غير ان يؤخذ رأي الممالك المحايدة. فخشي بسمرك عاقبة المطاولة والمماطلة والتمس من الملك ان يرضى بما قلهُ ذبيون وان لا يترك لهُ مجالاً للتردد وتغيير رأيهِ كما هي عادتهُ. فاجابهُ الملك بقولهِ « ان المسئلة هي اتالة روسيا ما تستطيع من المال والارض من غير ان تجازف بكل شيء »

وكان قد تقرر ان تضم روسيا اليها ولايتي شلزويج وهولشتين ومملكة هنوفر وهس وجزءاً من هس دارمستاد وناسو وفرنكفورت. ولم تطلب من النمسا ولا من سكسونيا التنازل عن شيء من املاكهم بفضل سعي بسمرك وولي العهد (الامبراطور فردريك الثالث والد الامبراطور الحالي). فانهُ عقد مجلس حربي مستعجل للنظر في هذه المسائل كلها فلم يجد عندهُ نفعاً وظهر انهُ سينفض على لاشيء. فالتفت الملك اذ ذاك الى ولي العهد وقال لهُ « تكلم باسم المستقبل ». وكان ولي العهد قد قاد الجناح في حرب الالمان بعضهم ضد بعض رغم مشيئتهِ فقال بوجوب الاعتدال والاكتفاء بضم من الاملاك. فسلَّم الملك بحكم ولي عهدهِ مكرهاً وضرب بذلك على ايدي حزب الحرب. اما كون الملك قد سلم مكرهاً فالدليل عليهِ ما علقهُ بخط يدهِ على مذكرة في هذا الموضوع رفعها بسمرك اليهِ. قال « لما كان كبير ورأيي قد تركني في موقف صعب وكنت لا استطيع تعيين خلف لهُ فوضت امري في المسئلة برأيتهُ على رأي الوزير. وعليهِ اراني على الاسف مضطراً بعد انتصارات جيشي المبينة ان اعض على هذه التفاحة الحامضة واقبل هذا الصلح الشائن ». وروى بسمرك ان الملك بكى غماً في نكلسبرج لما لم يسمح لهُ بالاستمرار على الحرب

وسيأتي الكلام في المقالة الثانية على توسط قيصر روسيا والنزاع بين السياسة والعسكرية في المانيا الاولى بزعامة بسمرك والثانية بزعامة مولتكي. ومعاهدة فرنكفورت التي عقدت في آخر حرب فرنسا وروسيا سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ وما بدت فيها بروسيا من الغلو سواء كان ذلك من حيث ضم الاراضي او اقتضاء الغرامة الحربية. ومغزى ذلك كله في الماضي ليقاس الحاضر عليهِ